

الذنب

عناصر الموضوع

٢٤٤	مفهوم الذنب
٢٤٥	الذنب في الاستعمال القرآني
٢٤٦	الأنفاذ ذات الصلة
٢٤٨	الله غافر الذنب
٢٥٢	مراتب الذنوب
٢٥٦	مكفرات الذنوب
٢٥٩	آثار الذنوب في الدنيا والآخرة

مفهوم الذنب

أولاً: المعنى اللغوي:

الذنب من أذنب يذنب إذناباً، والذنب هو الاثم والجرم والمعصية، والذنب مفرد، والجمع ذنوب، وجمع الجمع ذنوبات، ويقال: قد أذنب الرجل، أي: صار ذا ذنب، ويطلق الذنب على كل أمر غير مشروع يرتكب^(١).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

قال الجرجاني: «الذنب ما يحجبك عن الله تعالى»^(٢).
وقال المراغي في تفسيره: «الذنب هو التقصير في المعاملة بين العبد وربه»^(٣).
وقال الشنقيطي: «الذنب هو الجريمة التي يستحق صاحبها النكال»^(٤).
وبالنظر في التعريفات السابقة نجد أنه لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، ويمكن تعريف الذنب بأنه: كل فعل يستقبح شرعاً، ويستحق صاحبه العقوبة من الله تعالى.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ٣٦١، لسان العرب، ابن منظور ١/ ٣٨٩، تاج العروس من جواهر

القاموس، الزبيدي ٢/ ٤٣٦.

(٢) التعريفات، الجرجاني ص ١٠٧.

(٣) تفسير المراغي ٤/ ١٦١.

(٤) العذب النمير ٥/ ١٢٠.

الذنب في الاستعمال القرآني

وردت مادة (ذنب) الدالة على (الذنب) في القرآن الكريم (٣٧) مرة^(١).
والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
اسم (مفرد)	١١	﴿وَمَنْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء: ١٤]
اسم (جمع)	٢٦	﴿فَأَسْتَغْفِرُوا الذُّنُوبَ مِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]

وجاء الذنب في القرآن الكريم بمعناه اللغوي، وهو الإثم والجرم والمعصية^(٢).
قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]، أي:
فأقروا بمعصيتهم وجرمهم.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢٧٦.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١ / ٣٨٩.

الألفاظ ذات الصلة

١ الإثم:

الإثم لغة:

من أثم. الهمزة والياء والميم أصل واحد، يدل على التأخر^(١)

الإثم اصطلاحًا:

عرفه الجرجاني بأنه: «ما يجب التحرز منه شرعًا وطبعًا»^(٢)، وهو أيضًا التأخر عن فعل الطاعات^(٣).

الصلة بين الذنب والاثم:

الذنب عبارة عن ارتكاب المحذور، أما الإثم فهو التقصير في عمل مطلوب^(٤).

٢ الجرم:

الجرم لغة:

هو الكسب، وجمعها أجرام وجروم^(٥).

الجرم اصطلاحًا:

«هو الجنائية والذنب العظيم»^(٦).

الصلة بين الذنب والجرم:

الذنب يقال في معرض بيان العقوبة المترتبة على ارتكاب المخالفة، أما الجرم فيقال في معرض الاستقباح والذم للفعل الذي يخالف أمر الله أو يهيئه^(٧).

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٦٠.

(٢) التعريفات ص ٩.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ٥/ ٢٦٤٨.

(٤) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ١/ ١٥.

(٥) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٣١/ ٣٨٦، تفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن الجمل ١/ ٣١٧.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١١/ ٢٤٨.

(٧) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٢٤٤.

٣ الخطيئة:

الخطيئة لغةً:

هي الذنب، وجمعها خطايا^(١).

الخطيئة اصطلاحاً:

«هي الذنب المقصود المتعمد»^(٢).

الصلة بين الذنب والخطيئة:

الذنب إما أن يكون خطأ، وإما أن يكون عمداً^(٣)، أما الخطيئة فلا تكون إلا عمداً^(٤).

٤ السيئة:

السيئة لغةً:

من سوء بمعنى القبح^(٥).

السيئة اصطلاحاً:

«هي التقصير في حقوق العباد ومعاملة الناس بعضهم بعضاً»^(٦).

الصلة بين الذنب والسيئة:

الذنب يكون بالتقصير في حق الله تعالى^(٧)، أما السيئة تكون بالتقصير في حق العباد^(٨).

(١) انظر: الصحاح، الجوهري ٤٨/١، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٢٣١/٥.

(٢) معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن الجمل ٤٦/٢.

(٣) انظر: الكليات، الكفوي ص ٤٠.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، الواحدي ١٤٤/١.

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١١٣/٣.

(٦) تفسير المراغي ١٦١/٤.

(٧) المصدر السابق ١٦١/٤.

(٨) الفروق اللغوية، العسكري ص ٢٢١-٢٢٢.

الله غافر الذنب

من رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يغلق باب العفو والصفح عمن ضل طريق الحق باتباع أهوائه وشيطانه، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ولأهمية العفو والمغفرة في حياة المؤمن لزم التعرف على معنى كلا من العفو والمغفرة، وعلى الفرق بينهما، وعلى مدى عفو ومغفرة الله تعالى لعباده المذنبين.

أولاً: المغفرة في حق الله تعالى:

مغفرة الذنوب قضية خاصة بالله تعالى، فلا أحد يملك غفران الذنوب سواه جل وعلا، وهذا ما أكد عليه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: (سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ^(١).

كما وردت آيات كثيرة تنسب صفة الغفران لله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ

الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ
وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ إِلَهُ الْعَصْرِ ﴿٣﴾ [غافر: ٢-٣].

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل
عمران: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [ص: ٦٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِخَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّيمِغْنَتَنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَنتَلِكُنَّ بِمَا فَعَلَ الْفَسْهَاءُ إِنَّمَا هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنِ شَاءَ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وغيرها من الآيات.

ومن أسماء الله تعالى الحسنى:

الغافر: وهو على وزن (فاعل)، وقد ورد في القرآن مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣].

ومعناه أنه سبحانه يغفر ما سلف من
الذنوب^(٢).

الغفار: صيغة مبالغة على وزن (فعال)،
والمعنى أنه جل وعلا هو الذي يستر ذنوب
عباده ويغطيها (٣).

(٢) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، محمد التميمي، ص ١٨٠.

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار ٨/ ٦٧، رقم ٦٣٠٦.

عباده»^(٥).

وكان من أهم ما أوصى به ربنا عباده فعل الخيرات لأنها تزيل السيئات.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ آيَلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

ومعنى ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: يغفر الله بهن تلك المعاصي^(٦).

إن في العفو مبالغة ليست في الغفور، فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، وهو أبلغ من الستر، لأن الستر للشيء قد يحصل مع إبقاء أصله، بخلاف المحو فإنه يزيل الشيء جملة وتفصيلاً^(٧).

مما سبق يمكن القول بأن العفو هو محو أصل الذنب مع إسقاط العقوبة المترتبة عليه، أما المغفرة فهي الإبقاء على الذنب مع إسقاط العقوبة المترتبة على هذا الذنب.

ويؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما أخذ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يذني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره، فيقول: نعم، أي

^(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٥/٢٢٣.

^(٦) انظر: العذب النمير ٣/١٥٢.

^(٧) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٣٦٣.

الغفور: صيغة مبالغة على وزن (فعلول)، وهي من غفر بمعنى ستر، والفرق بين الغفور والغفار، أن الغفار مبالغة في المغفرة مع تكرارها، أما الغفور أي: مغفرة عالية الجودة شاملة لكافة الذنوب^(١).

العفو: وهو المتجاوز عن سيئات العباد^(٢).

والفرق بين العفو والمغفرة: أن العفو هو «ترك العقاب على الذنب، والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة»^(٣).

لذا كان من أهم الدعاء في ليلة القدر، ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: (يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: قل: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)^(٤).

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: «العفو هو المتجاوز عن سيئات

ص ٣٨.

(١) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ص ١٠٥.

(٢) انظر: مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ص ٣١.

(٣) الفروق اللغوية، العسكري، ص ٣٦٣.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات ٥/٥٣٤، رقم ٣٥١٣.

قال الترمذي: حسن صحيح.

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة،

١٠٠٨/٧، رقم ٣٣٣٧.

تُخْفَى الصُّدُورُ ﴿﴾ [غافر: ١٩].

مما سبق يمكن القول أن ذنوب العباد هي كسائر أعمالهم غير خافية على الله تعالى، سواء أكانت حقيرة أم عظيمة، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في مواضع منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

«أي: وكفى بالله خبيرًا بذنوب خلقه مطلعًا عليها، يحصي عليهم أعمالهم ومعاصيهم، فلا يخفى عليه شيء من أفعال المشركين وغيرهم، وهو عالم بجميع أعمالهم خيرا وشرها، لا يخفى عليه منها خافية، والخبير: العليم بهم، والبصير: الذي يبصر أعمالهم، وفي هذا تنبيه على أن الذنوب هي أسباب الدمار والهلاك لا غير، وأن الله عالم بها، ومعاقب عليها» (٤).

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِىِ الَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

«أي: وحسبك بالحي الذي لا يموت، خبيرًا بذنوب خلقه ما ظهر منها وما بطن، فهو لا يخفى عليه شيء منها، وهو محصيها عليهم ومجازيهم عليها» (٥).

ومما تجدر الإشارة إليه أن علم الله

رب، حتى إذا قر بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم» (١).

ثانياً: علم الله بذنوب عباده:

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

هاتان الآيتان الكريمتان من كتاب الله تعالى، تفيدان بأن الله تعالى: أولاً: بكل شيء محيط، والمعنى أنه تعالى أحاط بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وتديراً (٢).

ثانياً: عليم بالغيب والشهادة، والظاهر، والباطن، وغير ذلك مما دق أو عظم (٣).

قال تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ٩-١٠].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، ٣/١٢٨، رقم ٢٤٤١.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٠٦.

(٣) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی، أبو حامد الغزالي، ص ٤٣.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي ١٥/٣٨.

(٥) تفسير المراغي، ١٩/٣١.

وهذا يدل على أن الإنسان مخير في أفعاله لا مسير، كما تجدر الإشارة أيضًا إلى أن وقوع الذنوب لا يخرج عن مشيئة الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

تعالى بذنوب عباده لا يكون عقب ارتكابها، وإنما يكون قبل ذلك، أي: منذ الأزل، فعلم الله تعالى هو علم أزلي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) (١).

كما تجدر الإشارة إلى أن علم الله تعالى الأزلي بأن الذنوب ستقع من العباد لا يؤثر على أفعال العباد، وبالتالي فعلم الله تعالى المسبق بوقوع الذنب لا يحمل صاحب الذنب على اقتراف الذنب، وإنما يكون اقتراف الذنوب باختيار العباد، على الرغم من بيان الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم طريق الهداية وحثهم على سلوكه، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

يقول سيد سابق في تفسير هذه الآية: «أي: هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، والصدق والكذب، فهو إما سلك السبيل الأهدى، فيكون شاكرًا، أو الطريق المعوج، فيكون كفورًا» (٢).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، حديث عبادة بن الصامت، ٣٧/٣٧٨، رقم ٢٢٧٠٥، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة نون، ٥/٤٢٤، رقم ٣٣١٩. قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) العقائد الإسلامية، ص ١٠٢.

مراتب الذنوب

مما لا شك فيه أن هنالك تفاوتاً بين المخالفات الشرعية، وهذا الاختلاف يعود إلى تباين الأثر القبيح الذي تتركه تلك الذنوب والمخالفات، ولمزيد المعرفة لهذه المسألة، لابد من التعرف على مراتب ما يرتكبه العباد من الذنوب، وبيان ذلك كما يأتي:

أولاً: الكبائر:

الكبائر: هي الذنوب التي ورد في حقها لعنة أو غضب أو نار أو وعيد شديد^(١).

يقول تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾ [النساء: ٣١].

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)^(٢).

ذكر في هذا الحديث سبعاً من الكبائر، وذكر في أحاديث أخرى غيرها: مثل عقوق الوالدين، قول الزور، اليمين الغموس.

فالكبائر لا تنحصر في عدد معين، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن الكبائر أسبع هي؟ فقال: «هي إلى السبعين أقرب»^(٣).

ومن أمثلة على الكبائر:

١. الشرك بالله.

الشرك بالله من أكبر وأعظم الكبائر.

قال تعالى: ﴿وَلَا قَالَ لَقَمْنَ لِإِثْنَيْنِ وَهُوَ يَعْظُمُ يَبْنَى لَا شَرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

عن ابن مسعود قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل الله نداً وهو خلقك)^(٤).

والشرك بالله ينقسم إلى قسمين:

الأول: الشرك الأكبر: وهو أن يتخذ العبد مع الله شريكاً أو نداً يعبد كما يعبد الله،

(٣) أخرجه معمر بن راشد، مطبوع ملحقاً بمصنف عبدالرزاق الصنعاني ١٠/٤٦٠، رقم ١٩٧٠٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ١/٩٠، رقم ١٤١.

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي بن أبي طالب ١٠/٦٦٠٢، اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، محمد الخميس، ص ٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً)، ٤/١٠، رقم ٢٧٦٦.

عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ۖ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ ۚ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۚ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾

ومما سبق يتضح أن السحر من أكبر الكبائر، ومن أعظم المصائب، وهو من الكفر.

٣. قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

وهو الاعتداء على الإنسان وإزهاق روحه عمداً دون وجه حق (٥).

وهذا الفعل حرمه الإسلام، واعتبره من أكبر الكبائر التي توقع صاحبها في الهلاك يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتْهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

(٥) انظر: التفسير المنير، وهبة الزحيلي ١١٥/١٩.

ويدعوه كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله، وهو مخرج من ملة الإسلام، وإن مات صاحبه عليه يكون مخلداً في نار جهنم، ولا يخفف عنه من عذابها (١).

الثاني: الشرك الأصغر: «هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة» (٢).

والشرك الأصغر، لا يخرج صاحبه من الملة، وإذا مات عليه ولم يتب منه، فهو تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، ولو عذبه الله سبحانه، فإنه لا يخلد في النار، وينال الشفاعة بإذن الله تعالى (٣).

٢. السحر.

السحر: «أمر يمكن تعلم قواعده ومعرفته بالممارسة» (٤).

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن، ص ٢٨٣، تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله ص ٣٣٠.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، السعدي ص ٥٨.

(٣) انظر: سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبد الله الجنيدي، ص ٢٠٨، عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود ٢/ ٦٩٤.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام اللوح، ص ١٤.

٤. أكل الربا.

وهو أخذ زيادة على أصل المال وفائدة دون بيع صحيح مشروع^(١).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

[البقرة: ٢٧٥].

فلذلك يعتبر الربا من أكبر الكبائر عند الله تعالى، وقد توعد الله صاحبه بالنار، وأذنه بالحرب إن أصر عليه ولم يتب.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رَأْسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

٥. أكل مال اليتيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

حرم الله تعالى أكل مال اليتيم بغير حق، وذلك عن طريق إتلافه، فلا يجوز الاقتراب من مال اليتيم إلا لفائدة أو مصلحة

لليتيم، وذلك عن طريق حفظه، واستثماره، وتنميته، والأكل منه حال الفقر والحاجة، حتى يصبح رشيداً، أي: يبلغ مبلغ الرجال، فبعد ذلك يسلم له المال^(٢).

قال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].

٦. التولي يوم الزحف.

أي: الفرار من أرض المعركة، حرم الإسلام الفرار من أرض المعركة، وجعله من المهلكات، والكبائر^(٣).

لذلك فلا يجوز الفرار من أرض المعركة إلا للمكيدة، والخدعة بالأعداء، فالذي يفر من أرض المعركة يستحق الغضب من الله، والعذاب في نار جهنم^(٤).

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ (١٥) وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَهَ وَيَحْضُرُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

(٢) انظر: تفسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٦٣، التفسير الوسيط، الزحيلي ١٣٤٦/٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٦/٤.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١٤٨٧/٣.

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٢٨٠/٢.

[الأَنْفَال: ١٥-١٦].

عليها، إذا أتبعها فاعلها بالتوبة الصادقة النصوح، يذهبها الله تعالى ويغفرها^(٣).

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

فالله عز وجل جعل باب التوبة مفتوحاً لعباده.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَّدْ فِيهِ مُهْكًا ۖ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۖ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وقد سمي القرآن الكريم الصغائر: لمّا.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ هُوَ أَكْبَرُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَكْبَرُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

والمقصود بـ(اللمم) في هذه الآية هو ما قل وصغر من الذنوب^(٤).

٧. قذف المحصنات.

أي: يرمون المسلمات الحرائر العفيفات الطاهرات بالفاحشة، وهن بريئات من ذلك^(١).

فقد جاء الإسلام ليحفظ أعراض الناس، لذلك حرم الفاحشة، وكل ما يوصل للفاحشة، كما وضع الإسلام عقوبة لمن خاض في أعراض الناس، ولم يأت بأربعة شهود فجزاؤه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْنُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

ثانيًا: الصغائر:

الصغائر: هي الذنوب اليسيرة التي لم تقترب بوعيد أو بحد مقدر، فالشخص يرتكبها بدون إصرار عليها^(٢).

والذنوب اليسيرة التي يرتكبها الإنسان بدون إصرار عليها أو استهانة بها أو مداومة

(١) انظر: تفسير يحيى بن سلام ١/٤٢٧، مدارك التأويل، النسفي ٢/٤٨٨، أضواء البيان، الشنقيطي ٥/٤٢٩.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٣/١٣٠، التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي ١/٣١٢.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٣/١٣٠.

(٤) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة ٥/٥١١، التفسير الواضح، محمد حجازي ٣/٥٦١.

مكفرات الذنوب

لا بد للعبد إذا ما وقع في الذنوب أن يسارع لإزالة أثر تلك الذنوب، لئلا يباغته الموت، فيلقى الله وهو غاضب عنه، فيلقى بذلك ما لا يطيق من العقوبة، وللتمكن من إزالة آثار تلك الذنوب، يجب التعرف على مكفراتها، وفيما يلي الحديث عن أهمها:

أولاً: التوبة والاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ إِنَّ تَوْبَتَكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [هود: ٣١].

في هذه الآية وغيرها من الآيات قدم الله تعالى الاستغفار على التوبة؛ لأن الاستغفار فيه الابتعاد عن الشرك، وما اتصل به من جحود وعناد وإنكار، أما التوبة فهي الرجوع إلى الله تعالى وطاعته فيما أمر والابتعاد عما نهى عنه^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا، وإذا أقبل إلي ممشي، أقبلت

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ٣٦٦٢/٧.

إليه أهول^(٢).

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة)^(٣). والتوبة واجبة على جميع العباد، والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قوله: ﴿وَتُوبُوا﴾ أمر، وكل أمر للوجوب ما لم يصرفه صارف عن الوجوب، لذلك فالتوبة واجبة بإجماع المسلمين من كل ذنب اقترفه الإنسان^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإنني أتوب في

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٢١٠٢/٤، رقم ٢٦٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ٦٧/٨، رقم ٦٣٠٦.

(٤) انظر: العذب النسيم ٣٤٧/١.

اليوم إليه مائة مرة^(١).

ويشترط لقبول التوبة عدة شروط.

إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى فلها ثلاثة شروط وهي:

١. أن يقلع العبد عن المعصية.

٢. أن يندم العبد على فعل المعصية.

٣. أن يعزم على عدم العودة إلى المعصية أبداً.

أما إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فلها أربعة شروط، الثلاثة السابقة، والشروط الرابع: أن يرد العبد المظالم إلى أصحابها^(٢).

والتوبة لا تقبل إذا طلعت الشمس من المغرب.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ٤/٢٠٧٥، رقم ٢٧٠٢.

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن، ٩٩/٤.

الشمس من قبله^(٣).

لا تقبل توبة العبد عندما تبلغ روحه الحلقوم ويوقن بالموت.

قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْفِرْعَوْنُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠) ءَالْكَفِّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿[يونس: ٩٠-٩١].

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)^(٤).

والاستغفار يمحو الذنوب ويسترها ويطهر العبد من الخطايا.

عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، ٥/٤٣٧، رقم ٣٥٣٦.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢/٧٧١، رقم ٤١٩١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، ٥/٤٣٨، رقم ٣٥٣٧.

قال الترمذي: حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١/٣٨٦، رقم ١٩٠٣.

ومن هذه الأعمال الصالحة الصلوات الخمس تكفر الذنوب السالفة^(٢).
إن فعل الحسنات يقوم على الإيمان، والعمل الصالح.

ثالثاً: المصائب:

قد يتلي الله عز وجل بعض عباده ببعض المصائب، حتى تكون مكفرات لذنوبهم إذا صبروا عليها.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا أَكْبَلَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حط عنه بها خطيئة)^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة

كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه)^(١).

ثانياً: الحسنات الماحية:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ الشَّرَّاتِ﴾ [هود: ١١٤].

أي: فعل الخيرات والأعمال الصالحة

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٥٥/٤.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلوة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، ٤/١٩٩١، رقم ٢٥٧٢.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلوة والآداب، باب تحريم الظلم، ٤/١٩٩٤، رقم ٢٥٧٧.

آثار الذنوب في الدنيا والآخرة

الذنوب لها آثار تعود على الفرد فيفضل عقله، ويضطرب فؤاده، ويبلَى جسده، وأخرى تعود على المجتمع فتتمزق وحدته، ويتشردم أفرادها، وتضيع هيئته، ومن هذه الآثار ما يأتي:

١. حرمان العلم.

العلم نور يقذفه الله تعالى في قلب أهله، والذنوب تطفئ ذلك النور، فيحرم المذنب من العلم^(٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

٢. وحشة القلب.

وهي وحشة يجدها المذنب في قلبه، فلا يشعر بأي لذة حتى ولو اجتمعت له لذات الدنيا كلها، فلم تف بتلك الوحشة، وهي تجعل المذنب يتعد عن أهل الصلاح ومجالستهم، وبذلك يحرم بركة الانتفاع بهم حتى يقرب من حزب الشيطان، فتقوى هذه الوحشة حتى تقع بينه وبين أقرب المقربين إليه، بل وبينه وبين نفسه^(٤).

٣. الذل والندامة.

(٣) انظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ٦/ ٢٤٢.

(٤) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ص ٥٢.

يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها^(١).

والمصائب يمكن أن تكفر ذنوب الإنسان، إلا الكفر؛ لأن من لقي الله كافرًا يستحيل أن يتخلف وعيده^(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

رابعاً: الدعاء:

والدعاء بطلب المغفرة وتكفير الذنوب هو من سنن الأنبياء والمرسلين.

قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

والدعاء بطلب المغفرة من صفات المؤمنين الصالحين.

قال تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِذُوا بِاللَّهِ وَرَكْعَاتِ الْوُضُوءِ الْمَعْرُوفَةِ﴾ [الذاريات: ١٨].

وأخبر الله عز وجل أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْأَثَرِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ١١٤/٧، رقم ٥٦٤١.

(٢) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، محمد التويجري ٤/ ٦٢٠.

إن الذنوب تورث في الإنسان الذل والضعف والإهانة؛ لأن العز لا يكون إلا في طاعة الله تعالى^(١).

قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

٤. انتشار الفساد في الأرض:

إن الذنوب تسبب أنواعاً من الفساد في الأرض، مثل فساد في الزرع والمياه والهواء والمساكن.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

موضوعات ذات صلة:

الإسراف، الزنا، الصلاح، العبرة، العذاب،
الفواحش، الكفر، النفاق

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٥.